

التبيان في تفسير القرآن

(279) فقال (ارغب فيها) يريد بها يعنى بنتاله، يريد: ارغب بها عن لقيط، ولاارغب بها عن قبيلته، وقوله " انا كفرنا بما ارسلتم به " حكاية ايضا عما قالوا للرسل فإنهم قالوا: إنا قد كفرنا بما ارسلتم به من الدعاء إلى الله وحده وتوجيه العبادة إليه، والعمل بشرائعه " وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب " والريب اخبث الشك المتهم، وهو الذي يأتي بما فيه التهمة، ولذلك وصفوا به الشك اي انه يوجب تهمة ما اتيتم به يقال: ارباب يريب إرابة إذا أتى بما يوجب الريبة، فقالت لهم حينئذ رسلهم " أفي الله شك " مع قيام الادلة على وحدانيته وصفاته، لانه الذي خلق السموات والارض يدعوكم إلى عبادته ليغفر لكم من ذنوبكم اذا أطمعتموه. ودخلت (من) ههنا - في قول أبي عبيدة - زائدة، وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب، وقال أبو علي: دخلت للتبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعا. وقال قوم: دخلت (من) لتكون المغفرة بدلا من الذنوب، فدخلت (من) لتضمن المغفرة معنى البذل من السيئة " ويؤخركم إلى اجل مسمى " يعنى لا يؤاخذكم بعاجل العذاب، بل يؤخر إلى الوقت الذي ضربه الله لكم ان يمسكم فيه، فقال لهم قومهم " ان أنتم الا البشر مثلنا " اي ليس انتم الا خلق مثلنا تريدون ان تمنعونا عما كان يعبد اباؤنا من الاصنام والاوثان، فاتونا بحجة واضحة على ما تدعونه وبطلان ما نحن عليه. وفي الآية دلالة واضحة على انه تعالى اراد بخلقه الخير والايمان، لا الشر والكفر، وأنه إنما بعث الرسل إلى الكفار رحمة وتفضلا، ليؤمنوا، لا ليكفروا، لان الرسل قالت: ندعوكم إلى الله ليغفر لكم، فمن قال إن الله أرسل الرسل إلى الكفار ليكفروا بهم ويكونوا سوءا عليهم ووبالا، وانما دعوهم ليزدادوا كفرا فقد رد ظاهر القرآن. قوله تعالى: (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن